لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل
- دراسة دلالية -

م. م. صلاح الدين سليم محمد
كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠١٠/٥/٢ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠١٠/٦/١٤

ملخص البحث :
يهدف البحث إلى تحديد دلالة لفظ الماء ودلالة الألفاظ الدالة على الماء من خلال السياق في بعض نصوص الكتاب العزيز، لاسيما أن ألفاظ الماء ذات مجال دلالي واحد تتحرك فيه ألفاظ متقاربة المعاني لكنها ليست متحدة. فالألفاظ مثل (المطر والغيث) و(البحر واليم) و (السحاب والمزن) و(الجب والبئر والرس) و (العيون والينابيع) وغيرها متقاربة المعاني ولكن لكل لفظ في الكتاب الكريم معنى محدد.

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظين مختلفين لمعنى واحد فكل لفظة في القرآن تأتي بدلالات خاصة ومعينة موضوعة بدقة في موضعها وكل كلمة فيه تحمل إليك معنى جديداً.

The Term (Water) and its Inductive Texts Metaphorical

Assistant lecturer Salaheldeen Salim Mohammed
College of Political Science - University of Mosul

Abstract:
The research tries to determine the denotation of "water" utterances through the context in some verses in the Nobel Quran, noticing that these utterances have one semantic field. These utterances have close meanings, yet not the same. Utterances such as "المطر" *al malar* and "الغيث" *alghaith*,"البحر" *al bahr* and "اليم" *al yam*, "السحاب" *al sahaab* and "المزن" *al muzn*, "الجب" *al jub* and "البئر" *al bi'r*, "العيون" *al uyoon* and "الينابيع" *al yanabee'*, and others have close meanings, yet each utterance has a definite meaning. The Quran does not use two different utterances to denote one meaning. However, people do, such as using "الريح" *al reeh*

instead of "الرياح" *al riaah*, "الغمام" *al ghamaam* instead of "السحاب" *al sahaab*, and using "العيون" *al uyoon* to denote the eyes, and so on.

Each "water" utterance could have multiple meanings if it is decontextualized. The utterance "المطر" *al matar* denotes "water" and the utterance "غيث" *ghaith* also denotes "water". Arabic dictionaries have given various meanings for the utterances considering them semantically the same, away from the context, for the sake of understanding and clarification. Each utterance in the Quran, put precisely in its position, has unique denotations, and each word in the Quran carries a new meaning.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل عرشه على الماء وجعل من الماء كل شيء حي والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) الذي بشر وأنذر، بشر المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار، وأنذر الكافرين بنار جهنم فيها عذاب وماء حميم، أما بعد:

فإن بحثنا ركز على ألفاظ الماء في نصوص من التنزيل الحكيم للوقوف على الفروق الظلال الدقيقة بين الألفاظ التي يظن للوهلة الأولى أنها متحدة المعنى إذ عمدنا إلى تحديد دلالات الألفاظ وتنوعها والكشف عنها بفضل التركيب القرآني وسياقاته المختلفة.

وقد تناول البحث ألفاظاً مثل الماء والرياح والسحاب والمزن والمطر والغيث واليم والبحر والجب والبئر والعين والنبع واستثنى الريح والغمام لانعدام العلاقة الدلالية بينهما وبين الماء في نصوص مختارة من الذكر الحكيم.

واعتمدنا في ذلك على أقوال أهل اللغة والمفسرين من خلال المعاجم وكتب التفسير مستحضرين أمامنا دائما اننا مع نصوص محكمة ومعجزة وضع كل حرف وكل كلمة بنظام دقيق، لأنه كلام الخالق وصفته، وهو كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. مذكرين ان الماء في الحياة الدنيا ثابت لا يزيد فيغرق، ولا ينقص فيهلك، وكل شيء بيده له الحمد والشكر.

ومما تجدر الإشارة إليه ان الألفاظ المتعلقة بالماء تدور في الذكر الحكيم في مجال دلالي واحد ولكن ذات إيحاءات مختلفة.

المبحث الأول : لفظ الماء من الدلالة اللغوية والاصطلاحية إلى الدلالة القرآنية

المحور الأول : لفظ الماء لغة واصطلاحاً

قال أهل اللغة: هو الذي يشرب والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام وأصله مَوَهٌ بالتحريك لأنه يجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة(١) والماء سائل عليه عماد الحياة في الأرض يتركب من اتحاد الهيدروجين والأوكسجين، بنسبة حجمين في الأول إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له وطعم ولا رائحة فيه(٢).

ودور الماء الظاهر في انبات كل شيء دور واضح يعلمه البدائي والمتحضر، يعرفه الجاهل والعالم... ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة، فقد شارك الماء ابتداء – بتقدير الله – في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للانبات (إذا صحت النظريات التي تفترض ان سطح الأرض كان في فترة ملتهباً، ثم صلباً لا توجد فيه التربة التي تنبت الزرع. ثم تم ذلك بتعاون الماء والعوامل الجوية على تحويلها تربة لينة... وهو المادة التي يخلو وجه الأرض في النباتات لو نفذت من التربة)(٣).

والماء إما أن يكون مستعملاً أو مطلقاً فأما المستعمل فكل ما أزيل به الحدث أو استعمل في البدن على وجه التقرب وأما المطلق فهو الذي بقي على أصل خلقته ولم تخالطه النجاسة ولم يغلب عليه شيء طاهر(٤).

المحور الثاني : لفظ الماء عند أصحاب الوجوه والنظائر

تكرر لفظ الماء في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة وهو لا يدل على الماء الذي يشرب أو المطر فقط بل يتعدى إلى دلالات أخرى وله وجوه ثلاثة.

فوجه منها: يعني المطر فذلك بقوله تعالى: (إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾) (الأنفال: ١١) وقوله تعالى: (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾) (الحجر: ٢٢) وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾) (الفرقان: ٤٨) وقال تعالى: (خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٍ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ

فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠) (لقمان: ١٠).

الوجه الثاني: الماء يعني النطفة، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤) (الفرقان: ٥٤) يعني خلق من النطفة إنساناً وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٨) (السجدة: ٨) يعني النطف.

الوجه الثالث: ذكر مقاتل ان الماء يعني القرآن، فذلك قوله تعالى: (فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤) (البقرة: ١٦٤) وكذلك في قوله تعالى: (وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ٦٥) (النحل: ٦٥) يعني القرآن هو مثل ضربه الله، كما أن الماء حياة للناس كذلك القرآن حياة لمن آمن به(٥).

المحور الثالث : لفظ الماء في الاستعمال القرآني

الماء أقدم شيء في الكون، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧) (هود: ٧) بين أن خلق العرش والماء قبل خلق الأرض والسماء قال كعب: (خلق الله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى، فلذلك يرتعد الماء إلى الله وإن كان ساكناً ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء)(٦)، فيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض(٧) وقال ابن عباس: عرشه:

سريره وكان الماء إذا كان العرش عليه على الريح، وقال قتادة: ذلك قبل ان يخلق السماوات والأرض[٨].

والماء ينزل من السماء بأمر الخالق وانزاله من اختصاصه وهو من الغيبيات الكبرى قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾) (لقمان: ٣٤) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، قال ابن عباس: هذه الخمس لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل مصطفى، وقال الزجاج: فمن ادعى انه يعلم شيئاً من هذه كفر بالقرآن لأنه خالفه[٩].

وهو أصل الأشياء وسبب الحياة، قال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾) (الأنبياء: ٣٠)، في الماء قولان:

أحدهما: انه الماء المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل شيء، قاله الأكثرون.

والثاني: انه النطفة قال أبو عالية[١٠]: وليس الإنسان وحده يخلق من الماء، بل كل ما دب على هذه الأرض على الرغم من تنوعه وتعدده[١١] قال تعالى: (وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾) (النور: ٤٥).

والله سبحانه وتعالى هو الذي يخزن الماء وينزله بقدر معلوم، قال تعالى: (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾) (الحجر: ٢٢) وفي دلالة لفظة (بخازنين) قولان:

احدهما: بحافظين، أي ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل.

والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري[١٢].

وقال تعالى: (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾) (الحجر: ٢١)، وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم:

وما من شيء من المطر إلا عنده خزائنهُ. اي: في حكمنا وفي تدبيرنا، و(ما ننزله) كل عام (إلا بقدر معلوم) لا يزيد ولاينقص فما من عام أكثر مطراً من عام، غير ان الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه ممن يشاء[١٣]. والماء المنزل من السماء وغيره من الأشياء كله بقدر، وقال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾) (المؤمنون: ١٨)، وقال تعالى: (ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾) (الفرقان: ٢).

وهذه المادة العجيبة في الكون على أشكال سائل، جامد، غاز وقد ساعدت على ظهور الحياة على سطح الأرض. والله سبحانه وتعالى جعل الماء على قسمين: ماء عذب وماء مالح، قال تعالى: (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾) (فاطر: ١٢). وقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾) (الفرقان: ٥٣)، وهكذا لم يكن صدفة أو عبثاً بل أمراً في غاية الدقة والحكمة، فلو كان الماء ملحاً لتعذرت الحياة على الأرض، لأن الماء الملح لا تستسيغه الكائنات الحية ولذلك منَّ الله على عباده بإنزال العذب)[١٤].

والله سبحانه وتعالى يسقي النباتات بماء واحد يجعل أكله مختلفاً، قال تعالى: (وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾) (الرعد: ٤)، وذلك كله يسقى من ماء واحد وأُكله مختلف حامض وحلو، وفي هذه الآية قال المفسرون: الماء الواحد: المطر، والأكل: التمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، بعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك وفي هذا دليل

على بطلان قول الطبائعيين أنه لو كان حدوث التمر على طبع الأرض والهواء والماء وجب ان يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف دل على مدبر قادر[١٥].

ان الماء المنزل من السماء ماء طهور، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾) (الفرقان: ٤٨)، والطهور في اللغة: الطاهر المطهر[١٦] ان الماء المنزل من السماء طاهر في نفسه مطهر لغيره، فإن الطهور بناء المبالغة في طاهر وهذه المبالغة أقتضت أن يكون طاهراً مطهراً[١٧].

والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من ماء، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾) (الفرقان: ٥٤)، يعني خلق من النطفة انساناً ومنه جعل الله نسباً وصهراً أي ذا نسب وصهرٍ، والصهر: إذابة الشيء، وذكر الماوردي ان المناكح سميت صهراً، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صهر[١٨].

المبحث الثاني : دلالة الألفاظ الدالة على الماء

أولاً: دلالة الرياح:

الرياح السبب المباشر في إنزال الماء من السماء بقدرته تعالى، ولهذا اخترنا لفظة (الرياح) في دراسة دلالة الماء ولم نذكر لفظة (الريح) لانعدام العلاقة بين الريح والماء لأن الريح في القرآن الكريم على وجهين:

أحدهما: الرائحة ومنه قوله تعالى: (وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾) (يوسف: ٩٤)، قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت رائحة الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص[١٩].

الثاني: القوة ومنه قوله تعالى: (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾) (الأنفال: ٤٦)[٢٠].

وكل شيء في القرآن الكريم من (الرياح) فهي رحمة وكل شيء فيه من (الريح) فهو عذاب[٢١].

قال تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٌ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمۡ تَرَوۡهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾) (الأحزاب: ٩). وقال تعالى:(إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِى يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ ﴿١٩﴾) (القمر: ١٩). وقال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٍ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾)(الحاقة: ٦).

والرياح تثير السحاب ومعلوم ان السحاب بخار الماء غير مرئي ولكن الرياح تظهره، قال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾) (الروم: ٤٨)، فالعلاقة بين الرياح والسحاب واضحة في تكوين الماء بقدرته تعالى، قال تعالى: (وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾) (الحجر: ٢٢)، ولما كان بخار الماء أخف من الرياح بأنه يعلق به ويرتفع معه وعندما يرسل سبحانه تعالى الرياح يصبح بخار الماء سحاباً. وأول ما ينشأ السحاب فهو النشء فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب[٢٢]. قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرًۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالاً سُقۡنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾) (الأعراف: ٥٧).

وبمجرد تكون السحب بفعل ارسال الرياح يخرج الماء من خلاله ولكن هذا الماء ينزله الخالق على من يريد من عباده وعلى الأرض التي تختاره.

ثانياً: دلالة السحاب والمزن

أصل السحب الجر كسحب الذيل والإنسان على الوجه، ومنه السحاب إما لجر الريح له أو لجره الماء، أو لانجراره في السماء[٢٣] والسحاب لفظ واحد معناه الجمع[٢٤].

وقد ورد لفظ السحاب في القرآن الكريم في تسعة مواضع بدلالات متقاربة جداً تدل على مرحلة تكون الماء النازل من السماء منها قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾) (النور: ٤٣). وقال تعالى: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾) (الروم: ٤٨)، والودق: المطر(٢٥).

أي ان الله سبحانه وتعالى يرسل الرياح التي هي مقدمة لإثارة السحاب بين جعله كسفاً أي قطعاً ثم يؤلف بين القطع فتكون ركاماً وهو المتراكم بعضه فوق بعض بعد ذلك يتهيأ لانزال الماء(٢٦). وبإذنه تعالى ينزل الماء من خلال السحاب.

وأما لفظ المزن فمعناه السحابة العامة وقيل السحاب ذو الماء(٢٧) فقد حاول أهل اللغة ان يفرقوا بين دلالة السحاب ودلالة المزن، قال ابن منظور(٢٨): (المزن: السحابة العامة، وقيل السحابة ذو الماء واحدته مزنة، وقيل: المزنة السحابة البيضاء والجمع مُزن). وإذا كان السحاب ابيضاً فهو المزن(٢٩).

وقد ورد لفظ المزن في موضع واحد هو قوله تعالى: (أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾) (الواقعة: ٦٨ – ٦٩). والسحاب تسمى مزناً في حالة نزول الماء منه.

ومما تجدر الإشارة إننا لم نذكر لفظة (الغمام) لأنه لا يدل على الماء في نظم القرآن الكريم وهو الغيم الأبيض وسمي غماماً ؛ لأنه يغم السماء ويسترها. وقد ورد لفظ الغمام في أربعة مواضع:

قال تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾) (البقرة: ٥٧). وقال تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ

ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾) (البقرة: ٢١٠). وقال تعالى: (وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾) (الأعراف: ١٦٠).

وهذا في سياق الحديث عن بني إسرائيل حين خرجوا مع موسى ونجوا من فرعون، ولو كان الغمام هنا ذا ماء ما احتاجوا إلى الاستسقاء، حين أعطاهم الله حجراً يحمله موسى فيه اثنتا عشرة عيناً على عدد أسباطهم[٣٠]. وكذلك في قوله تعالى: (وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴿٢٥﴾) (الفرقان: ٢٥).

ثالثاً: دلالة المطر والغيث:

قال ابن منظور: (المطر: الماء المنسكب من السحاب، والمطر: ماء السحاب، والجمع أمطاراً. ومطرتهم السحاب تمطرهم مطراً وأمطرتهم أصابتهم بالمطر)[٣١].

وقد ورد لفظ المطر، اسماءً وافعالاً في خمسة عشر موضعاً في الكتاب الكريم في العذاب والعقاب وما سمى الله المطر في القرآن إلا عذاباً[٣٢]. ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٨٤﴾) (الأعراف: ٨٤). وقال تعالى: (وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾) (الشعراء: ١٧٣). وقال تعالى: (فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضًا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾) (الأحقاف: ٢٤). وللمطر اسماءً وأوصافاً منها:

الودق: إذا كان المطر مستمراً.

الوابل: إذا كان ضخم القطر شديد الوقع.

الطل: أخف من المطر وأضعفه.

الغدق: كثير القطر وعذب.[٣٣]

وتسمي العرب المطر غيثاً[٣٤]. والغيث: المطر فإذا جاء عقيب المحل، أو عند الحاجة إليه فهو الغيث[٣٥].

وقد ورد لفظ الغيث في الكتاب الكريم في ثلاثة مواضع كلها في مواضع إظهار النعمة:

قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾) (لقمان: ٣٤). وقال تعالى: (ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾) (الحديد: ٢٠). وقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾) (الشورى: ٢٨).

وواضح أن دلالة الغيث هو الفرج والصون والحياة.

رابعاً: دلالة اليم والبحر:

اليم: قال ابن منظور: اجمع أهل اللغة ان اليم هو البحر، ويقع على ما كان ماؤوه ملحاً وعذباً[٣٦] وهي كلمة عبرية وسريانية (يما) وأكدية (يمو)[٣٧].

وقد ورد لفظ (اليم) في القرآن الكريم ثماني مرات وكلها في قصة موسى ولم ترد في غير هذه القصة وهو من لطيف الاستعمال فقد استعمل العبرانية في قصة موسى وقومه وهم عبرانيون[٣٨].

قال تعالى: (وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾) (القصص: ٧). وقال تعالى: (فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾) (الذاريات: ٤٠). والملاحظ أن الله سبحانه وتعالى استعمل (اليم) في سياقات كلها تدل على الخوف أو العقوبة[٣٩].

وأما البحر فهو: (الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب، وجمعه أبْحُر وبُحور وبحار)[٤٠]. والبحر: اسم للماء الغزير وسمي بحراً لاتساعه.

ولفظ البحر تكرر بصيغة المفرد والمثنى والجمع في أربعين موضعاً والبحر في القرآن الكريم على أربعة أوجه:

أحدهما: البحر المعروف في الأرض ومنه قوله تعالى: (قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾) (الكهف: ٦٣).

الثاني: الماء العذب والماء المالح ومنه قوله تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾) (الفرقان: ٥٣).

الثالث: بحر تحت العرش، ومنه قوله تعالى: (وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾) (الطور: ٦).

الرابع: العامر من البلاد، ومنه قوله تعالى: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾) (الروم: ٤١).[٤١]

وللبحر في سياق القرآن دلالات كما اسلفنا فقد استعمل عاماً في النعم وغيرها في بني إسرائيل وغيرهم، قال تعالى: (إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾) (البقرة: ١٦٤). وقال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾) (الأنعام: ٩٧).

وقال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾) (الإسراء: ٦٧).

وقد استعمل في مقام نجاة بني إسرائيل (البحر) ولم يستعمل (اليم). لقد استعمل (البحر) في النجاة والإغراق. أما (اليم) فاستعمله في الإغراق والخوف ولم يستعمله في النجاة، قال تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾) (البقرة: ٥٠)، فاستعمله في النجاة والإغراق. وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَـٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾) (طه: ٧٧ – ٧٨)، فاستعمل البحر للنجاة واليم للغرق[٤٢].

خامساً: دلالة الجب والبئر والرّس

الجب: البئر التي لم تطو[٤٣] وسميت جباً من اجل انها قطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما اشبه[٤٤].

وقد ورد لفظ (الجب) في الكتاب العزيز في موضعين:

قال تعالى: (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾) (يوسف: ١٠)، أي: في قعره، سمي بها لغيبوبته عن أعين الناظرين[٤٥]. وقال تعالى: (فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾) (يوسف: ١٥).

والبئر: القليب انثى: والجمع آبار، فإذا كثرت فهي بئار[٤٦] والقليب: البئر قبل ان تطوى، وقيل هي بئر العادية لا يعلم لها صاحب ولا حافر[٤٧].

وورد لفظ (البئر) في الكتاب العزيز في موضع واحد فقط، قال تعالى: (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾) (الحج: ٤٥). والمعنى: كم بئر معطلة، أي: متروكة... وفي الكلام إضمار، وتقديره وقصر مشيد معطل ايضاً ليس فيه ساكن[٤٨].

أما الرس ففيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنها البئر كانت تسمى الرس، قال ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة هي بئر بأدربيجان. وزعم ابن السائب انها بئر دون اليمامة. وقال السدي: بئر بأنطاكية.

والثاني: ان الرس قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة.

والثالث: انها المعدن، قاله أبو عبيدة وابن قتيبة.(٤٩)

وورد لفظ (الرس) في الكتاب العزيز في موضعين: قال تعالى: (وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾) (الفرقان: ٣٨). وقال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾) (ق: ١٢). والرس: هو اسم لبئر كثيرة الماء لها أصحاب. والله اعلم.

سادساً: دلالة العين والنبع:

العين: التي يخرج منها الماء، والعين: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري مؤنث، والجمع أعين وعيون(٥٠).

وورد لفظ (عيون) بصيغة جمع الكثرة في الكتاب العزيز في عشرة مواضع منها:

قال تعالى: (فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾) (الشعراء: ٥٧). وقال تعالى: (وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾) (الشعراء: ١٣٤). وقال تعالى: (فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾) (الشعراء: ١٤٧).

لما كان المعني بالجنات البساتين التي لها ظلال، والظل والماء مطلوبان للعرب ولكل ما ذرأ الله من النسم، قرن إلى الجنات والعيون.(٥١)

الملاحظ أن القرآن الكريم استعمل لفظة (عيون) للدلالة على الماء بينما استعمل لفظ (أعين) للعين الباصرة في أكثر من عشرين موضعاً منها قوله تعالى: (قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾) (الأعراف: ١١٦). وقال تعالى: (قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾) (الأنبياء: ٦١). وقال تعالى: (وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾) (يس: ٦٦).

فخص الله سبحانه وتعالى (العيون) بعيون الماء ولم يستعملها للباصرة في نظم القرآن.

أما النبع نهر: ينبع الماء ونبع وينبوعه: مفجره والينبوع: الجدول الكثير الماء[٥٢].

وورد لفظ (نبع) في الكتاب العزيز في موضعين مرة بصيغة المفرد (ينبوع) ومرة بصيغة الجمع (ينابيع).

قال تعالى: (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠) (الإسراء: ٩٠). والينبوع: العيون، وهي يفعول من نبع ينبع والينبوع واحد فالمراد به الجمع، كما قال مجاهد: والينبوع: عين كثير الماء والجمع ينابيع.[٥٣]

والينبوع: العيون التي لا تنضب يقال للعين ينبوع إذا كانت غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع والياء زائد كيعبوب من عب الماء[٥٤]. وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢١) (الزمر: ٢١).

قال الشعبي: كل ما في الأرض فمن السماء ينزل (فسلكه ينابيع) قال ابن قتيبة: أي: ادخله فجعله ينابيع، أي عيوناً تنبع.[٥٥] قال القرطبي[٥٦]: (فسلكه ينابيع في الأرض) فادخله واسكنه فيها. وقال الصابوني[٥٧]: (فسلكه ينابيع في الأرض) أي: ادخله مسالك وعيوناً في الأرض. واجراه فيها وقال المفسرون: وهذا دليل على أن ماء العيون من المطر تحبسه الأرض ثم ينبع شيئاً فشيئاً، قال ابن عباس: ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء، وخروج الماء من الينبوع أسهل وأيسر من العيون. والله أعلم. وإن ماء الينبوع لا ينضب ولهذا طلب كفار قريش من الرسول (ﷺ) أن يفجر لهم ينبوعاً لخبثهم ولمعرفتهم ان الينبوع لا ينضب.

الخاتمة

حاول البحث تحديد دلالة لفظ الماء وما يدل عليه من خلال السياق في بعض نصوص الكتاب الكريم لاسيما ان الألفاظ الدالة ذات مجال دلالي واحد تتحرك فيه ألفاظ متقاربة المعاني لكنها ليست متحدة. فالألفاظ مثل (المطر والغيث)، (البحر واليم)، (السحاب والمزن)، (الجب والبئر)، (العيون والينابيع) وغيرها متقاربة المعاني ولكن لكل لفظ معنى محدد. ولم نجد القرآن يستعمل لفظين مختلفين لمعنى واحد، وان البشر تفعله أحياناً مثل استعمالهم الريح مكان الرياح والغمام مكان السحاب والعيون للعين الباصرة وغيرها.

وأن أي لفظ من ألفاظ الماء يكون حمالة أوجه إذا جرد من السياق فالمطر ماء والغيث ماء ، والمعاجم العربية أعطت معاني للألفاظ وعدتها متساوية الدلالة بمعزل عن السياق لأجل الفهم والتوضيح.

وكل لفظة في القرآن ذات دلالات خاصة ومعينة موضوعة بدقة في موضعها وكل كلمة فيه تحمل إليك معنى جديداً. ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلا ل الدين عبد الرحمن السيوطي، ضبط محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
٢. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١.
٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.
٥. الجامع لأحكام القرآن، عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ج٩.
٦. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الاسكافي، برواية ابن أبي فرج الاردستاني، دار الأفق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.
٧. زاد المسير في علم التفسير، أبو فرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٤، ١٩٨٧، ج٤.
٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ج٦، مادة (موه).

٩. صفوة التفاسير ،محمد علي الصابوني، الأفق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج٢.

١٠. فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرجه عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٩٩٤، ج٣.

١١. فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق محمد وطماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

١٢. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٣٧، ٢٠٠٥، ج٧.

١٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فقي الوجوه والتأويل، أبو القاسم جارالله محمود الزمخشري، ضبط محمد عبدالسلام شاهين، ط١، ١٩٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٣.

١٤. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، د.ت، مادة (مزن).

١٥. الماء في القرآن الكريم، غالب محمد رجا الزعارير، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٣.

١٦. المعجم الوسيط، هارون عبدالسلام وآخرون، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦١، ج٢، مادة (موه).

١٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

١٨. من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٩.

١٩. من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي، خضر سيد، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠١.

٢٠. منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق د. محمد سيد الطنطاوي، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.

هوامش البحث

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ج٦، مادة (موه).
(٢) المعجم الوسيط، هارون عبدالسلام وآخرون، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، ١٩٦١، ج٢، مادة (موه).
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٣٧، ٢٠٠٥، ج٧، ص ١١٦١.
(٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٧٨.
(٥) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص ٤٠.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥، ج٩، ص ٨.
(٧) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الأفق للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ج٢، ص ١٠.
(٨) زاد المسير في علم التفسير، أبو فرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٤، ١٩٨٧، ج٤، ص ٧٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٣١.
(١٠)المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٤٨.
(١١)الماء في القرآن الكريم، غالب محمد رجا الزعارير، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٨.
(١٢)زاد المسير في علم التفسير، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٩٢.
(١٣)المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٩٢.
(١٤)الماء في القرآن الكريم، المصدر السابق، ص ٢٧.
(١٥)زاد المسير في علم التفسير، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٠٣.
(١٦)المصدر نفسه، ج٦، ص ٩٤.
(١٧)الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ج١٣، ص ٩٢ ؛ وينظر: الماء في القرآن، ص ٣٠.
(١٨)زاد المسير في علم التفسير، المصدر السابق، ج٦، ص ٩٧.
(١٩)المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٨٤.
(٢٠)منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق د. محمد سيد الطنطاوي، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت، ص ٣٥.
(٢١)الإتقان في علوم القرآن، جلا ل الدين عبدالرحمن السيوطي، ضبط محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٢٢٠.
(٢٢)فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبدالملك الثعالبي، تحقيق محمد وطماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٣١٠.
(٢٣)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٢٥.
(٢٤)زاد المسير، المصدر السابق، ج٦، ص ٥٢.
(٢٥)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في الوجوه والتأويل، أبو القاسم جارالله محمود الزمخشري، ضبط محمد عبدالسلام شاهين، ط١، ١٩٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٣، ص ٢٣٩.
(٢٦)الماء في القرآن الكريم، المصدر السابق، ص ١٠٣.
(٢٧)لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار المعارف، د.ت، مادة (مزن).

(٢٨)المصدر نفسه، مادة (مزن).
(٢٩)فقه اللغة وسر العربية، المصدر السابق، ص ٣١١.
(٣٠)من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي، خضر سيد، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠١، ص ١٠٢.
(٣١)لسان العرب، المصدر السابق، مادة (مطر).
(٣٢)الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص ٢٢٠.
(٣٣)فقه اللغة وسر العربية، المصدر السابق، ص ٣١٣.
(٣٤)الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، ص ٢٢٠.
(٣٥)فقه اللغة وسر العربية، المصدر السابق، ص ٣١٣.
(٣٦)لسان العرب، المصدر السابق، مادة (يمم).
(٣٧)من أسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ٢٠٠٩، ص ٤٣.
(٣٨)المصدر نفسه، ص ٤٣.
(٣٩)المصدر نفسه، ص ٤٤.
(٤٠)لسان العرب، المصدر السابق، مادة (بحر).
(٤١)منتخب قرة العيون، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٤٢)من أسرار البيان القرآني، المصدر السابق، ص ٤٤.
(٤٣)فقه اللغة وسر العربية، المصدر السابق، ص ٣١٦.
(٤٤)زاد المسير، المصدر السابق، ص ١٨٥.
(٤٥)أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص ٤٧٧.
(٤٦)لسان العرب، المصدر السابق، مادة (بئر).
(٤٧)فقه اللغة وأسرار العربية، المصدر السابق، ص ٣١٦.
(٤٨)زاد المسير، المصدر السابق، ج٥، ص ٤٣٨.
(٤٩)المصدر نفسه، ج٦، ص ٩٠.
(٥٠)لسان العرب، مادة (عين).
(٥١)درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الاسكافي، برواية ابن أبي فرج الاردستاني، دار الأفق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧، ص ٤٥٠.
(٥٢)لسان العرب، المصدر السابق، مادة (نبع).
(٥٣)الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، مج٥، ج١٠، ص ٣٣٠.
(٥٤)فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرجه عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٩٩٤، ج٣، ص ٢٦٣.
(٥٥)زاد المسير، المصدر السابق، ج٧، ص ١٧٢.
(٥٦)الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، مج٨، ج١٥، ص ٢٤٥.
(٥٧)صفوة التفاسير، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٧.